عنوان المداخلة: الاتجاه الإصلاحي في شرح الحديث النبوي عند ابن باديس من خلال كتاب "مجالس التذكير من حديث البشير النذير" .

عنوان الملتقى الوطني: الحديث وعلومه في الجزائر من الرصد التاريخي إلى التفعيل الحضاري .

إعداد: د: هشام شوقي .

الرتبة: أستاذ محاضر أ .

المؤسسة الجامعية: جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

البريد الإلكتروني: chougi_19@hotmail.fr .

رقم الهاتف: 0553550006 .

تاريخ انعقاد الملتقى: 03 أكتوبر 2023

مكان انعقاد الملتقى: جامعة الحاج لخضر باتنة .

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين وبعد:

اهتم علماء الجزائر قديما وحديثا بالوحيين القرآن والسنة شرحا وبيانا واستنباطا؛ ذلك أن هذين المصدرين هما أصل التشريع في الدين؛ وقد تعددت تلك الشروح والتفاسير وتنوعت في مناهجها واتجاهاتها كتابة ومشافهة نظما ونثرا .

هذا وإن من أبرز علماء الجزائر الذين اشتغلوا بتفسير القرآن وشرح السنة الشيخ عبد الحمد ابن باديس الذي أحيا هذين العلمين في زمن فشا فيه الجهل وعدم الفهم الصحيح بسبب الاستدمار الفرنسي . والذي يهما في هذا المقام هو اشتغال الشيخ بالحديث وعلومه شرحا وبيانا ، وكان الشيخ يشتغل بهذا العلم وفق طريقتين: الأولى: الشرح الشفاهي المباشر مع الجمهور مثل ما فعل في شرح الموطأ الذي ضاع كنز على الأمة مثلما حدث في تفسير القرآن تماما، والثانية: الشرح الكتابي الذي كان ينشره في المجلات: الشهاب وغيرها .

وقد اجتهد الباحثون في جمع جهود وآثار الشيخ ابن باديس في شتى المجالات والعلوم ومنها: الحديث وعلومه وذلك من خلال آثار ابن باديس التي وصلت إلينا، فظفروا في ذلك بشرحه لثلاث وأربعين حديثا وحوالي سبعة عشرة أثرا، كانت متناثرة في صحف الجمعية كالشهاب والسنّة والمنتقد والصراط وغيرها، فجمعت في كتاب سمي "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" طبع من طرف وزارة الشؤون الدينية بتقديم الشيخ عبد الرحمان شيبان وزير الشؤون الدينية سنة (1403هـ-1983م) . وكما اجتهد الدكتور: عمار طالبي في جمع آثار الشيخ في كتاب سمّاه "ابن باديس حياته و أثاره"؛ خصص الجزء الثاني للأحاديث والآثار واحتوى في معظمه للحديث على 43 حديثا و17 أثرا، ،إضافة إلى موضوعات متصلة بالسنّة كصلاة على النبي- ﷺ- ودرس ختم الموطأ وغيرها [1] .

وسأحاول في هذه الورقة البحثية بيان منهج الشيخ ابن باديس في شرحه للحديث النبوي مركّزا على قضية مهمة وهي الإصلاح الاجتماعي من خلال تلك الشروح؛ هذه القضية التي كان يدندن حولها ابن باديس كثيرا في دروسه وشروحه للحديث أو تفسير القرآن .

وفيما يلي تعريف بالموضوع في النقاط الآتية:

أولا: إشكاليّة البحث: أحاول الإجابة في هذا البحث عن عدة تساؤلات أهمها:

1 – ماهو منهج ابن باديس في شرحه للحديث النبوي في كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" ؟.

2- ماهي الضوابط العامة التي كان يتبعها ابن باديس في تطبيقه للإصلاح الاجتماعي في شرحه للسنة ؟ .

3- ما هي أهم القضايا الاجتماعية الكبرى التي تبرز الاتجاه الاصلاحي عند ابن باديس من خلال شرحه للحديث ؟ .

ثانيا: أهمية البحث: هذه المداخلة لها أهمية من جوانب متعددة؛ مجملها:

1- معرفة التراث العلمي في الحديث وعلومه عند أحد علماء الجزائر الأفذاذ وهو الشيخ ابن باديس .

2- معرفة المنهج الذي سلكه الشيخ في شرحه للحديث وتنزيلاته لمعاني الأحاديث على واقعه المعاش في زمانه ومحاولة إصلاحه .

3- معرفة بعض الوقائع والحوادث التي كانت في زمن الشيخ وطريقة معالجته لها ليقتدي به الأجيال في ذلك .

ثالثا: خطة البحث: جاءت خطة هذه الورقة البحثية متكونة من مبحثين كالآتي:

المبحث الأول: ترجمة الشيخ ابن باديس وبيان منهجه في شرحه الحديث من خلال كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" . وفيها مطلبان هما:

المطلب الأول: ترجمة للإمام ابن باديس .

المطلب الثاني: منهج ابن باديس في شرح الحديث النبوي من خلال كتاب "مجالس التذكير " .

المبحث الثاني: الاتجاه الإصلاحي في الشرح الحديثي لابن باديس من خلال كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" . وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول : ضوابط إعمال الاتجاه الإصلاحي في شرح الحديث النبوي عند ابن باديس .

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للاتجاه الإصلاحي في كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" .

وتفصيل عناصر هذا البحث ومسائله كما يلي:

المبحث الأول: ترجمة الشيخ ابن باديس وبيان منهجه في شرحه الحديث من خلال كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" .

وجعلت هذا المبحث بمثابة مقدمة للتعريف بصاحب الكتاب ومنهجه فيه، لذلك سأتحدث فيه عن مسألتين جعلت كل واحدة منها في مطلب وهما:

المطلب الأول: ترجمة للإمام ابن باديس .

واشتملت على العناصر الآتية:

أولا: مولده ونسبه:

ولد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة، سنة 1307هـ، الموافق لليلة الجمعة 4 ديسمبر عام 1889م، **والداه:** هو مُحَمَّد المصطفى بن مكي بن باديس، **وأمّه:** زهيرة بنت علي ابن جلول .

وأسرة ابن باديس مشهورة في شمالي إفريقيا، نبغ فيها عظماء الرجال، وكانت تجمع بين العلم والجاه، حيث تنحدر هذه الأسرة من العائلة الصنهاجيّة، الي منها: المعز لدين الله بن باديس، الذي قاوم البدعة ودحرها، ونصر السنة وأظهرها، فأزال مذهب الشيعة الباطنية، وأعلن مذهب أهل السنة والجماعة مذهبًا للدولة، وانفصل عن الدولة الفاطمية بمصر [2].

ثانيا: نشأته:

نشأ الإمام بن باديس في أحضان تلك الأسرة العريقة في العلم والجاه، وكان والده حريصا على تربيته تربية إسلامية، فلم يُدخلْه المدارس الفرنسية كبقية أبناء العائلات المشهورة، بل أرسله إلى الشيخ المقرئ مُحَمَّد بن المدّاسي، فحفظ عليه القرآن وتجويده، وعمره لم يتجاوز الثالثة عشر سنة، ثم وجهه إلى الشيخ حمدان الونيسي، فتلقى منه العلوم ومكارم الأخلاق، يقول ابن باديس في بيان فضل أسرته ومشايخه عليه: " إن الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي ربَّاني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة. ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني ... ثم لمشائخي الذي علموني العلم وخطوا لي مناهج العمل في الحياة ولم يبخسوا استعدادي حقه" [3] .

ثالثا: رحلاته في طلب العلم:

بعد أن استوعب الشيخ بن باديس غالب العلوم التي وجدها تلقى في بلده، عزم على مواصلة الطلب والتحصيل، وبتشجيع من والده، ارتحل إلى تونس، متتبعًا ينابيع العلم والمعرفة، فقصد جامع الزيتونة وتلقى العلم على المبرّزين من علمائها، أمثال الشيخ: مُحَمَّد النخلي، والشيخ: مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، وغيرهم طيلة أربع سنوات إلى أن أجازوه للتدريس، فمكث بعد تخرّجه سنة أخرى للتدريس فيها، ثم عاد سنة 1912م إلى الجزائر لنشر علمه وتنوير شعبه فجلس يدرّس في الجامع الكبير بقسنطينة ثم تحول بعد ذلك الجامع الأخضر . وفي موسم الحج لعام 1913م قصد مكة لأداء فريضة الحج، فالتقى هناك بعدة علماء كشيخه حمدان الونيسي والبشير الإبراهيمي وغيرهم، كما ألقى عدة دروس في المسجد النبوي، وأثناء عودته إلى الجزائر طاف بعدّة بلدان عربية، فزار سوريا ومصر، التي التقى فيها بالشيخ مُحَمَّد بخيت المطيعي، والشيخ أبي الفضل الجيزاوي وغيرهم [4] .

رابعا: شيوخه: وهم كثر أهمهم:

1- الشيخ مُحَمَّد بن المدّاسي، تلقّى عليه القرآن .

2- الشيخ حمدان الونيسي، أخذ عنه اللغة العربية وغيرها من العلوم .

يقول عنه ابن باديس: "وإني لأذكر ... وصية أوصاني بها، وعهداً عهد به إليَّ ... فقد أوصاني وشدّد عليَّ أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت، ولا أتخذ علمي مطية لها، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت" [5] .

3- الشيخ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، أخذ عنه الأدب وعلوم العربية .

4- الشيخ مُحَمَّد النخلي القيرواني، قال عنه ابن باديس: "وذلك أنني كنت متبرّماً بأساليب المفسّرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدليّة واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله،... فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرّم والقلق فقال لي: اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقّدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح، فو الله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني آفاقاً واسعة لا عهد له بها " [6] .

5- الشيخ البشير صفر .

خامسا: وفاته:

انتقل للرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ - 16 أفريل 1940م فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته، ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة . قيل في وفاته إنه مات مسموما وقيل مات إثر سرطان الأمعاء الذي أصيب به - فرحمه الله رحمة واسعة - [7] .

سادسا: آثاره العلمية:

آثار ابن باديس كثيرة، منها ما يلي:

1- تفسيره المسمى (في مجالس التذكير) سيأتي الكلام عليه، طبع ونشر سنة 1948م .

2- مجالس التذكير من حديث البشير النذير: وقد طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، سنة 1983م.

3- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: وهي عبارة عن دروس التي كان يمليها على تلاميذه، في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن والسنة النبوية .

4- رجال السلف ونساؤه: وهي مجموعة من المقالات ترجم فيها ابن باديس لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، نشرت في مجلة (الشهاب) .

5- حقق كتاب: العواصم من القواصم: للإمام ابن العربي، طبع سنة 1928م، في جزئين .

وقد قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بجمع كثير ممّا حوته صحافة الجمعية من نشاطات الإمام عبد الحميد بن باديس في المجالات المختلفة وطبعته تحت عنوان: (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس)[8].

المطلب الثاني: منهج ابن باديس في شرح الحديث النبوي من خلال كتاب "مجالس التذكير ".

ينسب الباحثون والدارسون هذا المصنف للشيخ ابن باديس- رحمه الله- إلا أنه ليس مصنّفا وضعه الشيخ ابتداء، وإنّما جمعت الأحاديث و الآثار التي كتبها في الصحف وألقاها في المساجد كدروس وكمواعظ، فأصبح هو الكتاب الذي وصلنا منه في شرح الحديث، وإن كان قد سمى الباب الذي تكتب فيه الأحاديث – في الصحف و المجلات- بهذا الاسم "مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير" كما سمي دروس تفسير القرآن "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، ومجموع ما ورد فيه من الأحاديث 39 حديثا، ثم أحاديث في أغراض مختلفة وتتناول كذلك الحديث المرفوع والموقوف

والأثر، ثم موضوعات متصلة بالسنّة تشمل شرح مفصّل لموضوع الصلاة على النبي ﷺ والدعاء وغيرها، وموضوعات متصلة بصاحب السنّة -ﷺ-كذكرى المولد النبوي، وفي الأخير ملحقات كدرس ختم الموطأ [9] .

وقد اتبع ابن باديس منهجية الحديث التحليلي في شرحه للأحاديث التي جاءت في هذا الكتاب، ولكنه ليس بنفس المنهجية العلمية المعروفة اليوم في الدراسات الأكاديمية لطبيعة المخاطب وزمن التخاطب ومكانه ؛ بل كان يختار بعض تلك المراحل التي تناسب مقصده من الشرح وتحقق غرضه .

وأهم تلك المراحل التي كان يتبعها في شرحه للحديث ما يلي:

1- وضع عنوان للحديث: فكان يضع العنوان للحديث الذي يريد شرحه ليكون ذلك بمثابة الفكرة العامة التي يريد معالجتها في شرحه، و مثال تلك العناوين: قوله : فَضْلُ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ/ إِتْبَاعُ رَمَضَانَ بِسِتَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ/ أَثَرُ النِّيَّاتِ فِي الْأَعْمَالِ ...الخ .

2- ترجمة رواه الحديث: وهذا ليس دائما بل كان أحيانا يترجم للصحابي الذي روى الحديث باختصار –وهذا هو الأكثر-، وأحيانا يترجم لغيره من الرواة ويحكم عليهم .

فمن ترجمته للصاحبي الذي روى الحديث ما جاء في شرحه لحديث " فَضْلُ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ" الذي رواه الصحابي: رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ ﷺ، حيث وضع عنوانا بقوله "الراوي" ثم قال:" هو أبو فراس قديم الصحبة، كان من أهل الصفة يلازم النبي – ﷺ- في السفر والحضر، مات سنة ثلاث وستين" [10] . [11]

ومن ترجمته للرواة دون الصحابي والحكم عليهم: ما جاء في شرحه لحديث " أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الْكِتَابَةَ"[12]، حيث قال في رواته:" رجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن مهدي البغدادي فلم يخرج له فيهما، لكنه ثقة. وثقه أبو حاتم وابن نافع وابن حيان وقد تابعه غيره وخرج الحديث أيضا النسائي والبيهقي في السنن الكبرى والإمام أحمد [13] .

3- فوائد في الإسناد: يعلق ابن باديس أحيانا على السند الذي روي به الحديث محلّ الشرح، مما يدل على قوة الصنعة الحديثية عنده، وكان يضع لذلك عنوانا بقوله "السند"، وقد تنوعت هذه التعليقات على الأسانيد بين تخريج أو ميزة للسند أو الحكم عليه ...الخ .

ومثال ماذكر فيه بعض **الفوائد الإسنادية: ماجاء في السند:** مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ أَنَّهَا قَالَتْ: "كُنَّا نُخَمِّرُ وُجُوهَنَا وَنَحْنُ مُحْرِمَاتٌ وَنَحْنُ مَعَ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" [14]. حيث ذكر فائدة عزيزة في هذا الإسناد فقال:" هذا سند من بيت البركات على المسلمين، بيت الصديق ﷺ، فعروة هو ابن الزبير وأمه أسماء. والمنذر أخوه شفيقه، وهشام وفاطمة زوجان وأبناء عم، وجدتهما أسماء -ﷺ-" [15] .

ومثال حكمه على السند وبيان درجته ما جاء في شرحه لحديث أَسْمَاء أن النَّبِيّ ﷺ قال :"لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ .."[16]، حيث قال:" روى مالك هذا الحديث مرسلا، ورواه عنه كذلك يحي بن يحي والأكثرون، وجاء مرويا عنه مسندا عن مُحَمَّد ابن جبير بن مطعم عن أبيه وكثيرا ما يروي مالك الحديث مسندا ومرسلا. ولا يرسل مالك ولا يأتي ببلاغ في الغالب إلا وهو على علم بمن يترك من السند أنه محل الثقة والقبول والاعتماد. فأما إذا شك فإنه يصرح بشكه. وتصريحه بالشك حين يشك يدلنا على ما عنده من العلم واليقين عندما يسكت دون أن يصرح بالراوي" [17] .

4- سبب الورود: إذا وجد ابن باديس سببا لورود الحديث فإنه يورده كما فعل في شرحه لحديث " النيات" ، حيث نقل قول القسطلاني[18] في سبب وروده فقال:" قال القسطلاني: قد اشتهر أن سبب هذا الحديث قصة مهاجر أم قيس المروية في المعجم الكبير للطبراني بإسناد رجاله ثقات من رواية الأعمش. ولفظه: (عن أبي وائل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها. قال: فكنا نسميه مهاجر أم قيس) ." [19].

5- غريب الألفاظ: حيث كان ابن باديس يضع عنوانا في شرحه بقوله "الألفاظ"، فيشرح ما ورد من الألفاظ الغريبة في الحديث، ومثاله ما ورد في شرحه لحديث " الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا: حيث قال:" **(المؤمن) "ال"** في اللفظين جنسية استغراقية، فالمراد جميع الأفراد، للمؤمن: **(اللام)** لام الاختصاص، **(يشد)**: يقوي بعضه بعضا بالتضام والالتحام، **(شبك)**: أدخل أصابع اليمنى بين أصابع اليسرى، وأصابع اليسرى بين أصابع اليمنى" [20] .[21]

6- التراكيب: ويقصد بها ما يتعلق بالأسلوب الذي جاء به الحديث من جهة النحو والبلاغة ...الخ، وكان يضع لذلك عنوانا بارزا بقوله **"التراكيب"**، ومن ذلك ما ورد في شرحه لحديث إتباع رمضان بستة من شوال، حيث قال:" أفادت (ثم) أن الاتباع متأخر عن الصوم، وإن كان قد جاء من طريق غير أبي أيوب العطف بالواو. والضمير في (كان) عائد على عمل المفهوم من الكلام السابق، أي كان عمله -وهو صومه شهرا وستة أيام" [22] .

7- المعنى الإجمالي للحديث: وهذا هو المقصد الأكبر من المقدمات السابقة ، فقد كان ابن باديس يعتني ببيان المعنى العام للحديث بأسلوب سهل وعبارات واضحة ليفهمه عامة المسلمين باختلاف طبقاته حتى ولو أدى ذلك لاستعمال بعض الألفاظ العامية المعروفة عند الناس، ومثال ذلك ماجاء في شرح الشيخ لحديث " **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر..."**[23]، حيث قال:" تمسكوا بالصدق والزموه فإن الصدق يوصل إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، وإن العمل الصالح يوصل إلى الجنة، وإن الرجل ليتكرر منه الصدق ويتكرر منه تعمد الصدق والقصد إليه والتزامه حتى يكتب عند الله كتابة خاصة صديقا فيثاب ثواب الصديقين ويرضى عليه رضاهم . واحذروا الكذب واجتنبوه فإن الكذب يوصل إلى الشر والانبعاث فيه وأن الشر يوصل إلى النار. وأن الرجل ليتكرر منه الكذب ويتكرر منه تعمده والقصد إليه حتى يكتب عند الله كتابة خاصة كذابا فيؤثم إثم الكذابين ويسخط عليه سخطهم" [24] .

وكان ابن باديس يتوسع أحيانا في شرحه لمعنى الحديث إذا رأى سببا لذلك ومناسبة له، ومثاله ما فعله في شرحه لحديث "محاجة آدم لموسى" [25] ، فقد وضع عنوانا بقوله "بسط وبيان"[26]، ثم بسط شرحه للحديث .

8- نفي التعارض بين الأحاديث: من منهج ابن باديس في شرحه للحديث أنه إذا رأى تعارضا بين الحديث محل الشرح وغيره، أزال هذا التعارض المتوهم بما يراه مناسبا، ومثاله ما جاء في شرحه لحديث :" «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»[27]، حيث قال:" ثبت عن عائشة أنها قالت: لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد كما منعت نساء بني إسرائيل، وهذا لا يعارض ما تقدم لأن الذي أحدثته هو الطيب والزينة، وهو نهي عن منعهن ونهاهن عن مس الطيب عند إرادة الخروج، فلو رأى ما أحدثن لمنعهن لإخلالهن بالشرط حتى يلتزمنه، ولا يمنعهن منعا يكون إبطالا لنهيه الأول عن منعهن" [28] .

9- دفع الشبه التي قد تطرح: اعتنى ابن باديس بدفع بعض الشبه التي قد تطرأ على المعاني التي تضمنها الحديث محل الشرح خاصة في الغيبيات، و قد كان يضع عنوانا بارزا بقوله " **دفع شبهة"**، ومثاله ما ذكره في حديث :"مُحَاجَّةُ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ قَالَ: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى. قَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ" [29]. حيث قال:" قد احتج آدم بالقدر السابق فنهضت حجته . فهل يحتج كلّ مخالف بالقدر السابق فتنهض حجته؟ كلّا: فإن الأدلة القطعية المتقدمة تمنع من ذلك منعا قاطعا. والتحقيق أن المخالف له حالتان:

- حالة التوبة الصادقة التي أسقطت المؤاخذة وهذه هي حالة آدم التي احتج فيها فنهضت حجته .

- وحالة عدم التوبة وهذه لا حجة فيها بالقدر لوجود المؤاخذة بالعمل المكتسب. وآدم وإن لم يذكر توبته بمقاله فهي مفهومة من حالة معروفة مما أنزله الله من كتبه على موسى وغيره"[30] .

10- الفوائد والأحكام: حيث كان الشيخ يختم شرحه للحديث باستنباطات رائعة من الحديث، وذلك وفق ما يناسب المقام، وكان يعنون أحيانا بـ "الفوائد: وأخرى بـ "الأحكام"، ومثاله ما جاء في حديث عنون له بـ "السيادة في البر لمن ساد في البحر"[31] ، **حيث قال** :"الأحكام: فيه دخول الرجل على محرمة دون حضور الزوج، وفيه سنة إطعام الزائر، وفيه تصرف المرأة فيما تحت يدها من مال زوجها من الطعام بالمعروف، وفيه مباشرة محرم الرجل له في غير العورة. وفيه سنة القيلولة، وفيه سنة إظهار السرور بالنعم والطاعات، وفيه جواز سؤال من بدر منه ما لا يعرف سببه، وفيه الاهتمام بكل ما يصدر منهﷺ، وفيه جواز ركوب البحر، وفيه جواز التوسع بالحلال، وفيه فضل الغزو"[32] .

11- اعتناؤه بتنزيل الآيات على الواقع: وفي الغالب أن الشيخ يختم شرحه للحديث بربطه بواقعه الذي بعيشه للتنبيه على خطإ أو حث على عمل أو تنبيه على مخالفة ...الخ، وقد استعمل الشيخ في ذلك عدة ألفاظ تدلّ على ربطه للحديث بواقعه منها عبارة: "تطبيق" ، "إقتداء وتحذير" ، "العلاج" ، "تنبيه وتحذير" ، "إرشاد وترغيب" ، "الإهتداء" ،

ومن أمثلة ذلك: قوله ما رود في حديث "إِتْبَاعُ رَمَضَانَ بِسِتَّةٍ مِنْ شَوَّالٍ" [33]، حيث قال:" تطبيق: إذا نظرنا في حالة السواد الأعظم منا معشر المسلمين الجزائريين فإننا نجهد هذه الكلمات شائعة بينهم فاشية على ألسنتهم وهي (بربي والشيخ) وهم يعنون أن ما يفعلونه هو بالله وبتصرف الشيخ (بربي والصالحين) (بربي والناس الملاح) (إذا حب ربي والشيخ) (شوف ربي والشيخ). وهي كلها من " [34] . ومنها قوله :"إقتداء وتحذير: هذان الأصلان اللذان قررنا بهما فقه مالك، هما أصلان مجمع عليهما، كثيرة في الشريعة المطهرة أدلتهما، والفروع التي تنبني عليهما، فلنا في مالك وغيره من أئمة الهدى القدوة " [35] .

المبحث الثاني: الاتجاه الإصلاحي في الشرح الحديثي لابن باديس من خلال كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" . وفيه مطلبان هي:

وجعلت هذا المبحث مبحثا تطبيقيا للاتجاه الإصلاحي في الشرح الحديثي عند ابن باديس، فذكرت فيه الضوابط العامة التي كان يتبعها الشيخ في تطبيبه للاتجاه الإصلاحي، ثم ذكرت أمثلة تطبيقية لذلك، الشيخ على كتاب "مجالس التذكير" فذكرت فيه منه ومنهجه فيه، لذلك سأتحدث فيه عن مسألتين جعلت كلّ واحدة منها في مطلب وهما:

المطلب الأول : ضوابط الاتجاه الإصلاحي في شرح الحديث النبوي عند ابن باديس[36] .

التزم الشيخ ابن باديس في تطبيقه للمنهج الإصلاحي في شروحه الحديثية ببعض الضوابط؛ بعضها منصوص عليها وبعضها مستنبط من عمله، ومجملها ما يلي:

1- الرِّفْق والرَّحمةُ وحسن القصد: وهذا أمر مطلوب في الدعوة إلى الله ﷻ فعلى الداعي إلى الله أن يكون رفيقا بالمدعوين، رحيما بهم، متجرّدا عن الأهواء والعصبيّة أيًّا كان لونها، قصده إنقاذ النّاس ممّا هم فيه من مخالفةٍ للدِّين، وهذه سمة الإمام عبد الحميد بن باديس في الدعوة إلى الله ﷻ، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند كلامه على مسألة البناء على القبور، وأنّه من فعل شرار الخلق، وبعد تصويره لواقع المسلمين في زمانه مع هذه المسألة قال: " ولنكن في إرشادنا مقتصرين على إيراد لفظ الحديث وشرحه – على أنّه واضح مفهوم بنفسه – دون أن نمس شيئًا من شؤون أولئك المقبورين، فإنّهم إخواننا سبقونا بالإيمان، فلهم علينا حق الدُّعاء والاستغفار. فإذا عملنا كلُّنا على هذا من حسن قصد ومحبة في الخير للمسلمين، رجونا أن يؤيّدنا الله تعالى، ويجعل النفع بأيد"[37] .

ثَانِيًا: العِنَايَةُ بِصحة الحديث : وهذا ضابط مهم، فإن تقرير الأحكام واستنباط الفقه لا يكون إلّا من حديث صحيح، فلا يعقل أن يُعالج واقع النّاس بأحاديث لا تصح، يقول الشيخ محمّد رشيد رضا عن كثرة ترديد الأحاديث الضعيفة والموضوعة من قبل بعض الخطباء:" إننا كثيراً ما نسمع من خطباء الجمعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمحرفة ، حتى صار يضيق صدري من دخول المسجد لصلاة الجمعة الأولى أو في أثنائها ، فمن سمع الخطيب يعزو إلى رسول الله ﷺقولاً

يعلم أنه موضوع يحار في أمره؛ لأنه إذا سكت على المنكر يكون آثماً ، وإذا أنكر على الخطيب جهراً يخاف الفتنة على العامة. والواجب على مدير الأوقاف منع الخطباء من الخطابة بهذا الدواوين المشتملة على هذه الأحاديث ، أو تخرج أحاديثها إذا كانت الخطب نفسها خالية من المنكرات والخرافات والأباطيل ، وما أكثر ذلك فيها "[38].

والإمام عبد الحميد بن باديس منهجه في هذا الباب واضح، فله عناية عظيمة وتحر كبير في الاستدلال بصحيح السنّة النّبويّة، وعلى هذا تقوم الّدعوة الإصلاحية كما قّرر – رحمه الله –، فقد قال: " تقوم الّدعوة الإصلاحيّة على أساس الكتاب والسنَّة، فلا جرم كان رجالها من المعتنين بالسنَّة القائمين عليها رواية ودراية النَّاشرين لها بين النَّاس، ومن عنايتهم: تحّريهم فيما يستدلُّون به ويستندون إليه منها، فلا يجوز عليهم إّلا ما يصلُح للاستدلال والاستناد، ولا يذكرون منها شيئًا إّلا مع بيان مخرجه ورتبته حيث يكون الواقف عليه على بيّنة من أمره، ممَّا لو التزمه كل عالم – كما هو الواجب – لما راجت الموضوعات والواهيات بين النَّاس فأفسدت عليهم كثيرا من العقائد والأعمال" [39] .

ثَالِثًا: الِفْقهُ الصحيح لِلحديث: وفقه الحديث كما هو معلوم هو ثمرة علوم الحديث – مع كونه واحدا من هذه العلوم – ، وفي هذا يقول الحاكم النيسابوري – رحمه الله –: " ذكر النوع العشرين من علم الحديث النوع العشرون من هذا العلم بعد معرفة ما قدمنا ذكره من صحة الحديث إتقانا ومعرفة لا تقليدا وظنا معرفة فقه الحديث إذ هو ثمرة هذه العلوم، وبه قوام الشريعة" [40] ، وهو الأمر الذي كان يعتني به ابن باديس كما سبق بيانه في ذكر منهجه في شرح الحديث تحت عنوان "المعنى الإجمالي" .

رابِعا: إزالَةُ التَّعارض بَين الأَحادِيث النَّبَويّة إن وجد : من الأمور المهمة لحسن فهم السنّة: التّوفيق بين الأحاديث الصحيحة، الّتي تتعارض ظواهرها وتختلف – لأول وهلة – معاني متونها، والجمع بين بعضها وبعض، ووضع كلّ منها في موضعه الصحيح، بحيث تأتلف ولا تختلف، وتتكامل ولا تتعارض[41]. وهو الأمر الذي كان باديس يحرص عليه في شرحه للحديث النبوي كما في شرحه لحديث :"لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها» [42] .

خامِسا:معرفَة أَسبَاب ورود الحديث : فمعرفة أسباب ورود الحديث يعين على فهم الحديث فهما صحيحا سليما ومن ثم يتصَّوُر شارحه المواقف والوقائع المشابهة لتلك الّتي ورد لأجلها الحديث، فيكون إسقاطه سليما، فهي تعُّد من العوامل الّرئيسة الّتي يتوقّف عليها فهم النّص النّبوي، إذ إن سبب الورود هو الحال، والمناخ الذي ورد فيه النّص، وإذا أراد المجتهد، أو الفقيه، أو المحّدث أن يفهم معنَى الحديث فلا يتسّنَى له ذلك إّلا بمعرفة الظّروف، والملابسات التي قيل فيها الحديث .

ومن المعلوم أن القرآن والسنَّة صالحان لكلّ زمان ومكان وذلك لا يعني أنّ كل الحوادث والمستجدات لابَّد أن تكون موجودة بنصها في الكتاب والسنَّة، بل إن الثوابت والأصول والقواعد التي أثبتت في الكتاب والسنَّة تصلح لأن يقاس عليها ما يطرأ من نوازل وطوارئ، فقط تحتاج إلى علماء أفذاذ تجّردوا عن الهوى والعصبيَّة، لديهم آليات القياس والمقابلة بين ما ورد في النَّص، وما لم يرد فيه [43].

سادسا: سلامة المقصد في تنزيل الآية: وذلك بالتجرّد عن العصبية المذهبية عقدية كانت أو فقهية أو سياسية، فإذا لم يتّصف المفسر بذلك وحاول ربط الحديث بواقعه لنصرة مذهبه المنتمي إليه، فإنه يقع في التخبّط ويحاول أن يتكلّف معاني بعيدة عن مقصود الأحاديث لينصر بها مذهبه فيقع حينئذ في الخطأ والزّلل .

سابعا: أن يكون المفسر متبصّرا بأحوال الواقع المعاصر له: وذلك ليتمكّن من ربط الحديث بواقعه وتصوير القضية تصويرا صحيحا ثم معالجتها في ضوء التوجيهات النبوية، أما إذا لم يكن متصوّرا لما يدور حوله من قضايا وأحداث أو يكون تصوره لها قاصرا، فإن تنزيله للحديث يكون قاصرا كفهمه [44] .

فهذه الضوابط مهّ مة قبل إسقاط الحديث النّبوّ ي على الواقع، حتّ يكون إسقاطا صحيحا، والإخلال بها قد يوقع الإنسان ربٍ ط غير صحيح، وإسقاٍ ط سقيم، ومن ثُ َ الحكُ م على النَّاس بما هم برآء منه .

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية للاتجاه الإصلاحي في كتاب "مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير"

إن الظروف التي كانت تمرّ بها الجزائر في عهد ابن باديس من استعمار فرنسي وسيطرة الطرقية ومشايخ الصوفية على المجتمع وغيرها من الظروف، أرّقت الإمام بن باديس وجعلته يحاول معالجة هذه القضايا مستغلا بذلك دروسه التي كان يلقيها في المساجد والمقالات التي كان يكتبها في المجلات سواء في تفسير القرآن الكريم أوالحديث النبوي؛ والذي يهمنا في هذا المقام ما له علاقة بالحديث النبوي حيث كان لا يمرّ بحديث له علاقة بواقعه وظروف مجتمعه إلاّ وبحث عن وجه الربط بين الحديث وواقعه لاستخراج العلاج منه، وكان قبل أن ينزّل الحديث على الواقع يصدّر ذلك بقوله: "تطبيق" ،"إقتداء وتحذير" ، "العلاج" ، "تنبيه وتحذير" ، "إرشاد وترغيب" ، "الإهتداء" أو غيرها من العبارات التي توحي بأنّه يعالج مجتمعه من خلال الحديث النبوي، وليشدّ انتباه السامع لدرسه .

لذلك فقد جاء كتاب " مجالس التذكير في أحاديث البشير النذير" حافلا بالمواضع التي علاج فيها ابن باديس أمراض مجتمعه من خلال العلاج الذي يصفه الحديث النبوي، وبعد تتبّعي لتلك المواضع وجدتها متنوعة بين العقيدة والسلوك والأحكام الفقهية، وسأكتفي في هذا المقام بذكر مثالين اثنين فقط عن كل واحد من هذه المواضيع وذلك كما يلي:

أولا: التنزيلات المتعلقة بالعقدية:

والمقصود هنا ذكر بعض المواضع التي نزّل فيها ابن باديس الأحاديث النبوية على بعض العقائد المنحرفة والسلوكات المخالفة للشّرع ممّا شاع في مجتمعه في زمانه وأكتفي بمثالين هما:

المثال الأول: اعتقاد الناس أن بعض البشر لهم تصرف في أفعالهم وسلطة عليهم:

من المسائل المهمة التي اعتنى بها الشيخ ابن باديس في شرحه للحديث النبوي مسألة "التصرف في الكون"، حيث شاع في زمنه انتشار بعض العقائد الباطلة وبعض الخرافات من أن بعض البشر لهم تصرف في الكون، فانبرى الشيخ للمسألة

وعالجها علاجا دقيقا، فقرّر أن التصرف في الكون إنما هو خاص بالله سبحانه، فقد دلت عليه آيات كثيرة على أن التصرف في الكون من حقوق الربوبية ، فالله تعالى يتصرف كما يشاء في كواكبه وأجرامه ومخلوقاته، و أن الله تعالى يسير الشمس من المشرق إلى المغرب وأنه الفاعل المختار لما يشاء[45] .

وقد ذكر الشيخ هذه المسألة لما شرح قول النبي ﷺ «أما والله إن كنت لأعرفها لكم قولوا: ما شاء الله ثم شاء مُحَمَّد»[46]، حيث قال:" تطبيق: إذا نظرنا في حالة السواد الأعظم منا معشر المسلمين الجزائريين فإننا نجد هذه الكلمات شائعة بينهم فاشية على ألسنتهم وهي (بربي والشيخ) وهم يعنون أن ما يفعلونه هو بالله وبتصرف الشيخ، (بربي والصالحين) (بربي والناس الملاح) (إذا حب ربي والشيخ) (شوف ربي والشيخ). وهي كلّها من كلمات الشرك كما ترى، فأما قولهم: (بربي والشيخ) ونحوه فمما لا يجوز أن يذكر فيه المخلوق مع الخالق قطعا لأن ما تفعله هو بالله وحده؛ أي: بتقديره وتيسيره ولا دخل للمخلوق فيه، وأما قوله: (إذا حب الله والشيخ) فمما لا يجوز إلا بلفظة "ثم" . فيكون بمعنى: إذا شاء الله ثم شاء الشيخ، إذا كان هذا الشيخ حيا وكان الأمر مما يكن أن تدخل مشيئته فيه . ولقد شب على هذه الكلمات ونحوها الصغير، وشاب عليها الكبير، وانقطع عنها النهي والتغيير، حتى صارت كأنها من الكلمات المشروعة، وصار قلعها من الألسنة من أصعب الأمور، وأصبحت "كلمة بالله وحده" ونحوها مهجورة لديهم منسية عندهم ثقيلة على أسماعهم ثقل من يدعوهم إليها ويلهج بها على قلوبهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" [47]. فنلاحظ في هذا النص شفقة ابن باديس على أهل زمنه وهو يرى هذا الاعتقاد الباطل بينهم الذي تدل عليه الألفاظ المستعملة عندهم، فأراد بلطف ونصح أن يغير حال هؤلاء لينقذهم مما هم فيه من الخطإ .

المثال الثاني: قضية ضمان الجنة للعباد من قبل عباد أمثالهم:

حيث إنه شاعت عبارات في زمن الإمام ابن باديس تدل على اعتقاد بعض الناس أن الجنة يمكن أن يضمنها لهم فلان أو علان من الصالحين ، فاستغل الشيخ شرحه لحديث له علاقة بهذه المسألة ونبه على بطلان هذا الاعتقاد، وذلك لما شرح حديث "فَضْلُ السُّجُودِ وَالْخَتِّ عَلَيْهِ"، وهو حديث رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قال : "كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ»، فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» [48] .

لما شرح ابن باديس ذكر استنباطا بديعا منه فقال:" سأل هذا الصحابي النبي- ﷺ- أن يدعو له الله ولم يسأله هو أن يعطيه الجنة، لأن الذي يعطى هو الله تعالى، ولأن الذي يسأل منه العطاء هو الله تعالى، كما قال النبيﷺ لابن عباس فيما رواه: (وإذا سألت فاسأل الله)، فمن المخلوق تسأل الدعاء ومن الخالق تسأل العطاء. ومن أدلة الأول هذا الحديث، ومن أدلة الثاني حديث أبن عباس المذكور. وكثير من الناس يسألون ممن يعظمون نفس العطاء وخصوصا من الأموات- رحمهم الله- في قبورهم. فأرشدهم بمثل ما سمعت وحذار أن تكون منهم. الترمذي وقال حسن صحيح"[49] .

ثم خصص إبطال الاعتقاد بنفع بعض الناس لبعض وضمان الجنة لهم وأنها عقيدة باطلة فقال:" **بيان عقيدة وإبطال ادِّعاء:** لما سأل هذا الصحابي النبي ﷺ وعده بالدعاء وأرشده إلى العمل الصالح وهو كثرة السجود، ولم يقل له النبي ﷺ إنني ضامن لك ذلك، ولا أنت مضمون، ولا أنت في ضماني، لأن العبد لا يجوز له أن يضمن على خالقه بدون إذنه شيئا، وإذا كانت الشفاعة التي هي طلب منه لا تكون عنده إلا بإذنه فكيف الضمان الذي هو التزام على القطع، فمن الغرور العظيم والجهل الكبير والجراءة الكبرى على الله تعالى قول بعض المدعين (روح راك مضمون) وقول آخرين (من دخل دار كذا فهو مضمون) و (أنا ضامني الشيخ) و (يا دار الضمان) ونحو ذلك، مما يقوله الجاهلون، وينكره العالمون، ويبرأ منه الصالحون " [50] .

وهذه المسألة التي ذكرها ابن باديس أجمع عليها العلماء قديما وحديثا واتفقوا على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أن فلانا يمكنه أن يضمن له دخول الجنة، يقول الإمام ابن الجوزي في تعليقه على حديث عائشة ﵂ لما قالت في صبي مات: "عصفور من عصافير الجنة". فقال لها النبي ﷺ: " أو غير ذلك؟ " ، يقول ابن الجوزي :"إنما نهاها أن تقطع للأطفال بالجنة، لأن القطع على علم الغيب ليس إليها" [51] . فإذا كان النهي واضحا لعائشة فكيف بغيرها ممن هو لا شك دونها في المرتبة والفضل . [52] .

ثانيا: التنزيلات المتعلقة بالآداب والسلوك:

من المسائل المهمة التي اعتنى بها الشيخ ابن باديس في شروحه الحديثية ، مسألة أخلاق وسلوكات المسلم لما لهذه المسألة من أهمية بالغة لتنظيم المجتمع المسلم وبيان كماله ، وقد تحدث الشيخ عن عدة قضايا من أمثلتها:

المثال الأول:

المثال الأول: اجتناب الكلام البذيء المفرق:

حيث نهى الشيخ أن يتصف المسلم بالكلام الذي يفرق ولا يجمع لأن ذلك من معالم الجاهلية ، والذي ينبغي للمسلم هو الاعتناء بالكلام الطيب واجتناب الكذب ودعوات الجاهلية مهما كانت صورتها ولو بلفظ مفرقة، وهذا لما شرح قول النبي ﷺ «ما بال دعوى الجاهلية، دعوها فإنها منتنة» [53] ، حيث قال:" تحذير وإرشاد: ليحذر المسلم من كلّ كلمة مفرقة من كلّ ما يثير عصبية للباطل وحمية جاهلية يدعو بها ولا يجيب من دعا إليها، فإن بلاء كثيراً حلّ بنا وفتنة كثيرة أصابتنا من تلك الكلمات المفرقة .

ولتكن دعوته- إذا دعا- بالكلمات الجامعة التي تشعر بالأخوة العامة وتبعث على القيام بالواجب بأيد متشابكة وقلوب متحدة حتى إذا دعا جماعة خاصة يعلم منه نفعا خاصا في مكان خاص فليكن بما يفهمهم أنه إلى الحق دعاهم وعلى القيام به استعان بهم دون إباية من انضمام كل من ينضم إليهم، فإنه ما توجه قوم إلى نصرة الله- ورضا الله قصدهم إلا كان الله معهم: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾ الحج: ٤٠" [54] .

وحذّر الشيخ في موضع آخر من التساهل في الكذب وتعويد اللسان عليه فعنون بقوله:" **تحذير**: مواطن الهزل ومجالس البسط مما يتساهل فيها الناس فيلقون فيها الكلام بلا ضبط وتجري ألسنتهم بالكذب من غير مبالاة ولا احتياط فيقعون في الإثم على الكذب والإثم على التهاون بالمعصية ويتعودون ذلك التساهل حتى يقعوا في الوعيد المذكور في هذا الحديث، فليحذر المسلم من مثل هذه الحال وليتفطن لنفسه في مثل هذه المقامات" [55] .

المثال الثاني: الحث على النظافة في المدن والمجتمعات المسلمة:

حيث ثمن الشيخ ابن باديس مظهر تنظيف المدن الذي تقوم به مصلحة التنظيف في البلديات، وبين أن ذلك مما أمرت به السنة المطهرة وأن ذلك من أعظم السلوكات التي ينبغي للمسلم المحافظة عليها لأنه يثاب على ذلك ثوابا عظيما، وذلك لما شرح حديث «اتقوا اللعانين» قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم»[56]، فقال:" تطبيق: من أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزمها – مصلحة التنظيف في الإدارات البلدية وأنت ترى أن الأحاديث النبوية المتقدمة قد انتظمت ذلك التنظيف بالترهيب من التقذير وكل مؤذ، والترغيب في إزالتهما. فوضع الإسلام بذلك أصل هذه المصلحة قبل أن يعرفها تمدن اليوم. فعلى المسلم أن يلتزم ذلك كأمر ديني يثاب عليه عند ربه، ليكون دافعه إلى القيام به من نفسه، ورقيبه في تنفيذه ضميره الديني وإيمانه، وقد شهد التاريخ لمدن الإسلام أيام مدنيته الزاهرة بانفرادها بين مدن عصرها النظافة وحسن المظهر، وما ذلك إلا من تطبيق مثل ما تقدم مما وضعه الإسلام من أصول المصالح التي تقوم عليها الحياة، ويترقى بها المجتمع. فعلينا –معشر المسلمين– أن نعني بما دعتنا إليه هذه الأحاديث النبوية الشريفة لنكون بين الناس مثلا حسنا راقيا في النظافة البلدية، لنفع أنفسنا ومجتمعنا ونرفع اسم ديننا، ونفوز بالأجر والرضى من ربنا. وفقنا الله لإحياء معالم الدين، ورفع اسم الإسلام والمسلمين" [57] . وهذا الحث من ابن باديس على النظافة إنما كان من روح الشريعة ونصوصها، وذلك لأن الله يحب النظافة فأمر سبحانه عباده بالتنظيف في جميع الأشياء[58] . [59] .

ثالثا: التنزيلات المتعلقة بالأحكام الفقهية:

تعرض الشيخ ابن باديس أثناء شرحه لبعض أحاديث الأحكام إلى ربط بعض أحكامها بالواقع الذي كان يعيشه أهل زمانه أمرا بما تركوا أو نهيا لما فعلوا، فذكر في ذلك عدة مسائل منها:

المثال الأول: حكم كشف المرأة لوجهها إذا أمنت الفتنة:

وذلك لما شرح أثر فاطمة بنت المنذر حين قالت: "كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما"[60] ، فقال ابن باديس معلقا على الحديث:" تطبيق: من المسلمين اليوم أقوام– معظمهم من غير أهل المدن والقرى– ألفوا خروج نسائهم سافرات فلا يلفتن أنظارهم بذلك فهؤلاء لا يطالبن بستر الوجوه مع بقاء حكم غض البصر وحرمة تحديد النظر.

ومن المسلمين أقوام- معظمهم من أهل المدن أو القرى- ألفوا ستر وجوه النساء فكشف المرأة بينهم وجهها يلفت الأنظار إليها. ويغري أهل الفساد بها ويفتح بابا للقال والقيل في شأنها وشأن أهلها وعشيرتها. فهؤلاء يجب عليهن ستر وجوههن اتقاء للشر والفتنة والوقيعة في الأعراض . هذه أحكام عامة لنساء المؤمنين، ولأمهات المؤمنين زوجات النبي -ﷺ- أحكام خاصة بهن على أنهن خير القدوة للنساء أجمعين" [61] .

وهذه المسألة التي ذكرها ابن باديس ذكرها غيره من العلماء في جواز كشف المرأة وجهها إذا أمنت الفتنة، ومن ذلك قول السمعاني في تفسيره :" يجوز النظر إلى وجه المرأة وكفيها من غير شهوة، وإن خاف الشهوة غض البصر" [62] .

المثال الثاني: التحذير من التبرج و السفور:

وقد حذر ابن باديس من السفور وتبرج المرأة لأن ذلك يفسد العفة التي أمرت بها الأمة رجالا ونساء، وجاء حديثه عن ذلك لما شرح أثر فاطمة بنت المنذر حين –السابق- حيث قالت: "كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما"[63] ، وهناك أحاديث كثيرة تنهى عن التبرج صراحة منها قوله ﷺ : " صنفان من أهل النار لم أرَهما، قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[64] . ولذلك فإن ابن باديس لما شرح الحديث السابق حذر من السفور مبينا حكمه وحاث على التعفف قائلا :" تفرقة وتحذير:

هنا سفور إسلامي وهو كشف المرأة وجهها -دون شعرها وعنقها- عند أمن الفتنة، مع عدم إظهار الزينة – غير الوجه والكفين، وعدم إثارة الفتنة بروائح الطيب وخشخشة الحلي ورنين الخلخال.

وهنالك سفور إفرنجي فيه كشف الشعر والعنق والأطراف مع التبرج بالزينة وما إليها فعلينا- معشر المسلمين- أن نوجه قوتنا كلّها إلى منع السفور الإفرنجي الذي قد طغى حتى على نساء أمراء الشرق المسلمين ووزرائه، وأن نحذر كلّ ما يؤدي إليه وأن نحافظ على الوضعية الإسلامية العفيفة الطاهرة بسفورها – إذا كان سفور على ما فصلناه- في دائرة محدودة ليس فيها إثارة ولا إغراء" [65] .

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة المتواضعة شرح ابن باديس "مجالس التذكير" نخلص إلى النتائج الآتية:

1- الإمام بن باديس يعتبر الأب الرّوحي والمعلّم الأول للشعب الجزائري في زمانه، وذلك نظرا لأسلوبه البديع وعبقريته الفذّة في استخراج معاني الحديث النبوي وتنزيلها على الواقع ..

2 – ابن باديس يعتبر من العلماء الذين يجعلون النص الشرعي نصا حيّا يعالج أمراض المجتمع الذي خوطب به ولو طال الزمن على نزوله .

3- يعتبر الاتجاه الإصلاحي من أهم مقاصد ابن باديس في شرحه للحديث النبوي .

4- من أهم القضايا التي نزّل عليها ابن باديس أحاديث النبي ﷺ القضايا العقدية، والقضايا الأخلاقية والتنزيلات الفقهية .

5- استطاع ابن باديس أن يصل إلى هدفه من تفسير القرآن، وإيجاد العلاج لكلّ آفات المجتمع .

قائمة المراجع:

📖آثار ابن باديس ، المؤلف: عبد الحميد مُحَمَّد بن باديس، المحقق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة: الأولى، سنة: 1388 هـ - 1968 م .

📖إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين القسطلاني أبو العباس، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مكان النشر: مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ .

📖إسقَاطُ الأَحادِيث النَّبوَّيةَ علَى الوَاقِعِ عْنَد اِلإمَامِ اْبن بِاديس -نَمَاذج تَطَبِيقِّيةِ من خَلَالَ شرحه "مجالِس التَّذكِيرِ منَ حديث البشِيرِ النَّذِيرِ" ، د: عثمان عفون، مقال نشر في مجلة المعيار، مج 23، عدد: 45، سنة: 2019 .

📖الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى مُحَمَّد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة: 1415 هـ .

📖الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، د: أحمد محمود الجزار، منشاة المعارف -الإسكندرية-، الطبعة الأولى، سنة: 1999م .

📖الإمام عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث، المؤلف: د: عامر على العرابي، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، سنة: 1408هـ-1409هـ .

📖تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، سنة: 1420هـ/ 1999 م .

📖تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، مكان النشر: الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، سنة: 1418هـ- 1997 .

📖تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، المؤلف: د:عبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، الطبعة:الأولى، سنة: 1428 هـ/2007م .

📖الخطاب الدعوي عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومُحَمَّد البشير الإبراهيمي-، تأليف: شهرة شفري، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، بجامعة الحاج لخضر -باتنة- كلية: العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم: أصول الدين، سنة: 2008 م-2009م .

📖سنن أبي داود، دار الكتاب العربي . بيروت .

📖سنن الترمذي، تأليف: مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، ت : أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

📖صحيح ابن حبان،ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت،ط:2، سنة:1414هـ/1993م .

📖صحيح البخاري، تأليف: مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، ت : د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط: 3، سنة: 1407هـ – 1987م .

📖عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، المؤلف: مصطفى مُحَمَّد حميداتو، نشر الكتاب ضمن سلسلة بعنوان: "كتاب الأمة" يصدرها مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، رقم: 57 .

📖فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، سنة: 1379 .

📖كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن ابن الجوزي، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن ، مكان النشر: الرياض، سنة: 1418هـ - 1997م .

📖لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق الدِّهلوي ، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، مكان النشر: دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، سنة: 1435 هـ - 2014 م .

📖مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد باديس الصنهاجي ، الناشر: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة: الأولى، سنة: 1403هـ - 1983م .

📖صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الجيل - بيروت و دار الأفاق الجديدة - بيروت .

📖مسند الإمام أحمد، تأليف: أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: 2، سنة: 1420هـ /1999م

📖معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، سنة: 1419 هـ - 1998 م .

📖معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم ، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، سنة: 1397هـ - 1977م .

📖منهج الشيخ عبد الحميد ابن باديس في دراسة السنة، د.عقيلة حسين، 21/04/2013، موقع: العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس .

📖الموسوعة العقدية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net .

📖موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، مكان النشر: مصر .

---

[1] منهج الشيخ عبد الحميد ابن باديس في دراسة السنة، د.عقيلة حسين، 21/04/2013, 07:45، موقع: العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص13

[2] ينظر: الصنهاجي عبد الحميد بن باديس ، سنة: 1968 م، آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالبي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، (ج1/ص: 72-73) ، أحمد محمود الجزار، سنة: 1999م، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، الناشر: دار المعارف، مصر .(ص: 16) .

[3] ينظر: آثار ابن باديس، (ج 2/ص: 138)، و مُحَمَّد بهي الدين سالم، سنة: 1999م، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، الناشر: دار الشروق، القاهرة، (ص: 35) .

[4] – العرابي عامر علي، سنة: 1408هـ/1409هـ، رسالة ماجستير بعنوان "الإمام عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير والحديث" ، إشراف: سليمان صادق البيرة، جامعة أم القرى –السعودية، ص:31-35، و حميداتو، مصطفى، سنة: 1418هـ ، عبد الحميد بن باديس

وجهوده التربوية، وقد صدر هذا الكتاب في العدد: 57، ضمن سلسلة "كتاب الأمة" التي يصدرها مركز البحوث والدراسات، برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –قطر–، (ص:47– 49) .

[5]– آثار ابن باديس، (ج1/ص:78) .

[6]– المصدر نفسه، (ج2/ص: 140) .

[7]– آثار ابن باديس،(ج: 1/ص:95)، والعرابي عامر، الإمام عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة، (ص: 40).

[8]– ينظر: آثار ابن باديس، (ج: 1،/ص: 98)، و شفري شهرة ، سنة: 2009م ، الخطاب الدعوي عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (دراسة مقارنة بين عبدالحميد بن باديس ومُحَمَّد البشير الإبراهيمي) ، وهي رسالة ماجستير ، صدرت عن جامعة الحاج لخضر بباتنة، كلية: العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، الجزائر ، (ص: 110–111) .

[9] منهج الشيخ عبد الحميد ابن باديس في دراسة السنة، د.عقيلة حسين، 07:45 ,21/04/2013، موقع: العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص13

[10] مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص: 46) .

[11] ينظر ترجمته بتوسع: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (2/ 394)، و معرفة الصحابة لأبي نعيم (2/ 1088) .

[12] هذا الحديث رواه أبو داود عن الشِّفَاء بنتِ عبدِ الله بلفظ" دخلَ عليَّ النبي ﷺ وأنا عندَ حفصةَ، فقال لي: "ألا تُعَلِّمين هذه رُقْيَةَ النملة، كما علَّمتِيها الكتابة"، كتاب: أول كتاب الطب، باب: ما جاء في الرقى ، برقم: 3887 .

[13] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 157) .

[14] رواه مالك في الموطأ، كتاب: الحج، برقم: 1176 .

[15] مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص: 168) .

[16] رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، بَاب مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، برقم: 3268 .

[17] مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ابن باديس، (ص: 313–314) .

[18] شرح القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (1/ 55) .

[19] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 59) .

[20] المرجع نفسه ، (ص: 97) .

[21] ينظر لشرح الحديث: فتح الباري – ابن حجر (10/ 450) .

[22] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 53) .

[23] رواه مسلم ي صحيحه، كتاب: البر والصلة والآدب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم: 6805 .

[24] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 114) .

[25] .رواه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله، برقم: 6240

[26] " مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ابن باديس، (ص: 73) .

[27] رواه أحمد في مسند: مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ برقم: 6252، (5/ 482) .

[28] مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ابن باديس، (ص: 174) .

[29]رواه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله، برقم: 6240، وتمامه "... قال له آدم آنت الذي اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة ؟ قال نعم قال فوجدتها كتب علي قبل أن يخلقني ؟ قال نعم، فحج آدم موسى) .

[30] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 72) .

[31] والمقصود به حديث أنس بن مالك أنه سمعه يقول كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ يوما فأطعمته وجلست تفلى رأسه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال « ناس من أمتى عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوك على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة ». قلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت له ما يضحكك يا رسول الله قال « ناس من أمتى عرضوا على غزاة في سبيل الله ». نحو ما قال في الأول قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال « أنت من الأولين ». قال فركبت أم حرام البحر في زمان معاوية بن أبى سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت: . رواه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل الجهاد، باب: ما جاء في غزو البحر، برقم: 1746 .

[32] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 132) .

[33] رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: صوم التطوع، برقم: 3634 .

[34] مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ابن باديس، (ص: 111) .

[35] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 53) .

[36] غالب ما ذكر هنا مأخوذ مع بعض الزيادات من مقال: "إِسقَاطُ الأَحادِيث الَّنبوَّيةَ علَى الَوَاقعِ عْنَد اِلإَمام أْبن بِاديس –نَمَاذج تَطَبِيقَّيةِ منِ خَلَالَ شرحه "مجالِس التَّذكِيرِ منَ حديث البشيرِ الَّنذِيرِ" ، د: عثمان عفون، مقال نشر في مجلة المعيار، مج 23، عدد: 45، سنة: 2019 .

[37] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 150) .

[38] انظر : مجلة المنار (16 / 186) .

[39] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 336) .

[40] معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، (ص: 63) .

[41] إسقَاطُ الأَحادِيث الَّنبوَّيةَ علَى الَوَاقعِ عْنَد اِلإَمام أْبن بِاديس –نَمَاذج تَطَبِيقَّيةِ منِ خَلَالَ شرحه "مجالِس التَّذكِيرِ منَ حديث البشيرِ الَّنذِيرِ" ، د: عثمان عفون، مقال نشر في مجلة المعيار، مج 23، عدد: 45، سنة: 2019، ص 376 .

[42] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 174) .

[43] إسقَاطُ الأَحادِيث الَّنبوَّيةَ علَى الَوَاقعِ عْنَد اِلإَمام أْبن بِاديس –نَمَاذج تَطَبِيقَّيةِ منِ خَلَالَ شرحه "مجالِس التَّذكِيرِ منَ حديث البشيرِ الَّنذِيرِ" ، د: عثمان عفون، مقال نشر في مجلة المعيار، مج 23، عدد: 45، سنة: 2019، ص 377 .

[44] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين –دراسة وتطبيق–، عبد العزيز الضامر، ص: (71–82).

[45] ينظر: تفسير ابن كثير ت سلامة (5/ 487(، الموسوعة العقدية – الدرر السنية (1/ 132) .

[46] رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: لا يقال خبثت نفسي، برقم : 4982 .

[47] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 111) .

[48] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه، برقم: 1122

[49] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 50) .

[50] المرجع نفسه، (ص: 50) .

[51] كشف المشكل من حديث الصحيحين ، ابن الجوزي، (4/ 419) .

[52] وينظر أيضا تنزيلات ابن باديس للأحاديث على أهل زمانه في باب الاعتقاد: مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص: 149) (ص: 56) (ص: 84)

[53] رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قوله { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله }، برقم: 4905 .

[54] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 92) .

[55] المرجع نفسه، (ص: 116) .

[56] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن التخلي في الطرق والظلال، ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ المنافقون: ١، برقم: 641 .

[57] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 146) .

[58] لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، الدهلوي، (7/ 453) .

[59] وينظر أيضا تنزيلات ابن باديس للأحاديث على أهل زمانه في باب السلوك والآداب: مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص: 172) .

[60] رواه مالك في الموطأ، كتاب: الحج، برقم: 1176 .

[61] مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ابن باديس، (ص: 171) .

[62] تفسير السمعاني (3/ 521) .

[63] سبق تخريجه، ص14 .

[64] رواه مسلم في كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، برقم: 5704 .

[65] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس، (ص: 171) .